جامعة مولاي إسماعيل
UNIVERSITÉ MOULAY ISMAÏL

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
FACULTÉ DES LETTRES ET DES SCIENCES HUMAINES

شعبة التاريخ والحضارة
مسلك التاريخ والحضارة

ميلاد وتطور الولايات المتحدة الأمريكية

الفصل الرابع

د. محمد أمحزون

2020-2019

الشخصية الأمريكية

من هو الأمريكي

المهاجر لا يقرر فقط الذهاب إلى مجتمع جديد، ولكنه يقرر ابتداءً التخلي عن مجتمع عاش فيه أجداده ونشأ وتربى فيه. المهاجر يقرر التغاضي عن الماضي، والثقة في المستقبل بدلا من الحاضر، ولذلك لابد من تَفَهُّم لماذا يقرر إنسانٌ ما الهجرة؟ ولماذا قرر الأمريكيون الأوائل ترك القارة الأوربية؟ وكيف شكل ذلك التركيبة النفسية للشخصية الأمريكية المعاصرة، وجعلها شخصية مختلفة اختلافا واضحا عن الشخصية الأوربية؟

التكوين النفسي للمهاجرين الأوائل

ترك الأمريكيون الأوائل أوربا لأسباب عديدة: بعضهم كانت تلاحقه الديون أو جرائم ارتكبها، فقرر الفِرار إلى العالم الجديد للتخلص من ذلك، وبعض البروتستانت انتقل إلى أمريكا ليحفظ نفسه من الاضطهاد الديني الذي كان يعانيه البروتستانت على يد الكنيسة الكاثوليكية الأوربية أو الكنيسة الأنجليكانية في بريطانيا. وهاجر الكثير من الكاثوليك الإسبان أيضا لرغباتهم في إقامة مملكة الرب في العالم الجديد.

ويقدس الأمريكيون النزعة الفردية؛ نظرا لأن المجتمع الجديد نشأ متحررا من تقاليد الأرستقراطية الأوربية التي سادت في العصور الوسطى. وَوَجَّهَتْ موجات الهجرة الأولى اهتمامها الأساسي إلى العمل، وأصبح أَسَاسَ وُجُودِهَا كجسم متحدٍ هو الضرورات التي تربط بين إنسان وآخر، والرغبة في الاستقرار، وإقامة الحقوق المدنية في إطار مجتمع ينشأ من تجمع الأفراد بوصفهم عَنَاصِرَهُ الأساسية.

وانعكس ذلك على الفرد الأمريكي الذي أصبح لا يهتم إلا بما يمثل له مصلحة، وهو يصادق ويشارك ويعادي من له مصلحة معهم دون اعتبار لاتفاقه أو اختلافه معهم في المثل والقيم الأخلاقية!

ملامح الشخصية الأمريكية

1- الفردانية

تقدس الشخصية الأمريكية حقوق الفرد، وما يستتبع ذلك من طغيان الحق الفردي على الحق الجماعي، ولذلك نشأت فكرة الفردية أو ما يسمى Individualism، وأصبح الفرد أهم من المجتمع في الحياة الأمريكية.

* فالفردانية هي سمة من سمات المجتمع الأمريكي حتى عند صناع القرار، حيث برزت مساوئ الفردانية الأمريكية في الإدارات الأمريكية المتعاقبة من خلال إهمالها رغبات العالم أجمع، بل تحدّيه تحدياً سافراً في أكثر من مجال: من بينها حقوق الإنسان، والحفاظ على البيئة، والاجتياح العسكري لأكثر من بلد، وغير ذلك كثير.

2- الشعور بالاستثنائية

الشعب الأمريكي يشعر دائما أنه استثناء من كل قواعد الكون، وأنه قادر على القيام بما يعتبره الآخرون مستحيلا. كتب الروائي الأمريكي "هيرمان ملفيل" في القرن التاسع عشر عن الاستثنائية الأمريكية فقال: " نحن رواد العالم وطلائعه، اختارنا الرب، والإنسانية تنتظر من جنسنا الكثير، ونحن نشعر في مكنون أنفسنا بالقدرة على فعل الكثير. بات لزاما على أكثر الأمم أن تحتل المؤخرة. إننا نحن الطليعة ننطلق إلى البَرِّيَّة لنقدم ما لم يستطع تقديمه أحد"!

ولذلك نشأت فكرة الاستثنائية في العقل الجمعي الأمريكي، وما يصاحب ذلك من الرغبة المستمرة في التجريب حتى وإن كان ذلك يعني العبث بشعوب العالم؛ فمادامت الغاية تناسب أمريكا فلا بأس أن تكون الوسيلة بشعة أو لا إنسانية، فأمريكا استثناء من كل قاعدة، ولا تمانع من الجمع بين المتناقضات.

3- النفعية والبرجماتية

بدأ الأمريكي رحلته في العالم الجديد بفكرة أن كل وسيلة تصل به إلى غايته فهي له ومن حقه أن يستخدمها. وشمل ذلك سرقة الأطفال، وبيعهم في سوق الرقيق، واتخاذهم عمالا أو قل عبيدا، وقتل أهل البلد الأصليين وسلخ جلودهم. كان البديل عن ذلك في نظر الأمريكي هو الخسارة التامة، والموت لمشروعاته وله، وهذا هو عين الشر في نظره. وتهاوت في العالم الجديد قيمة الأنساب والأحساب، إلا أن تكون القيمة كل القيمة في عمل يتيه المرء بنفسه متحملا تبعاته نجاحا وإخفاقا. على أن الأمريكيين لا يثقون بالنظريات، ويعلقون الأهمية على الأفكار فقط عندما تَحُلُّ مشكلات محددة. وبناء عليه، فالسياسي الناجح - عند الأمريكيين- هو من يقدم أفكارا عملية أو يطبق أفكارا سياسية نافعة لهم.

وأصبحت السياسة الأمريكية أيضا انعكاسا لهذه الشخصية الأمريكية التي تقدم مصالحها على كل أحداث العالم ومصالح الدول الأخرى.

كتب "جورج كينان" الذي كان يشغل منصب رئاسة إدارة الدولة للتخطيط عام 1948م: "نحن نملك 50% من ثروات العالم، ولكننا لا نشكل أكثر من 6,3 % من سكان الأرض. وفي مثل هذا الوضع يبدو أنه لا مناص من أن نكون موضع غَيْرَة وحسد الآخرين. علينا التوقف عن الحديث عن مواضيع غامضة أو غير ممكنة التحقيق تتعلق بالشرق الأقصى مثل حقوق الإنسان، أو تحسين

مستوى المعيشة أو إحلال النظام الديمقراطي. ولن يكون بعيدا اليوم الذي سنجد فيه أنفسنا مضطرين للتحرك بصراحة من خلال علاقات القوة. وبقدر ما يكون ارتباطنا بسبب الشعارات المثالية أقل، بقدر ما يكون ذلك أفضل".

إن المصلحة والمنفعة الشخصية هي التي حركت المستوطنين الأوربيين الأوائل للهجرة إلى أمريكا، لأنها كانت قارة بكر عذراء، مواردها هائلة، أراضيها شاسعة، بعيدة عن العالم القديم. فلم تستنزف ثرواتها في حروب كبيرة ولا احتلال، فالخير الذي أودعه الباري عز وجل فيها مازال بوفرته، وهو ما ساعد على قيام دولة كبيرة غنية تستغني عن غيرها. وهذه العوامل ساعدت أمريكا على الظهور كقوة كبيرة في العالم.

هذه القارة الجديدة الهائلة كانت مطمع المهاجرين الأوربيين، وكان الذين سبقوا بالاستيطان يراسلون ذويهم وأصدقائهم قائلين: هَلُمُّوا إلى أمريكا، لقد وجدنا شوارعها مفروشة ذهبا. وكان عدد كبير من أولئك من مجرمي الحروب ونزلاء السجون وتجار الرقيق والباحثين عن الذهب والمال، وقد وجدوا في الأرض الجديدة فرصة للثراء. وعملت هذه النفوس على إحياء مبدأ واحد فقط: "المصلحة".

فمن مصلحة المهاجرين إبادة الشعب الأصلي للأرض كي لا يكون للأرض صاحب آخر يفجر الثروات، فنقلوا هذا الشعب إلى العالم الآخر.

واقتضت المصلحة كذلك انتزاع شعب آخر من أرضه قهريا، واستعباده في الأرض الجديدة. شعب يُعزل عن أرضه - إفريقيا- ويُزرع هناك، بلا هوية، بلا دين، بلا صلات، فنقلوه كذلك من دنيا إلى دنيا أخرى لا يرتبط بها بأي رابط.

واقتضت المصلحة كذلك أن تُفتَح الأراضي الجديدة على مصراعيها لشذاذ الآفاق من كل الدنيا للعمل على إحياء الأرض الجديدة، ولكن شريطة التخلي عن الدين والعِرْق والأخلاق. الشرط الوحيد للبقاء لهذه الفئة من الناس: أن تذوب ذوبانا كاملا في ذلك المجتمع، تعمل فقط، تأكل فقط، تتلذذ بما شئت فقط.

إن الشيء الوحيد الذي يهتم به الأمريكي هو مصلحته، وأن يعيش مستمتعا: يأكل بشراهة، يشرب كأنه لم يذق الشراب من قبل، المهم أن يستمتع. وهذا ما أشارت إليه صحيفة (الواشنطن بوست) في افتتاحيتها عقب الإعلان عن فوز "كلينتون" بالرئاسة الأمريكية مرة أخرى قائلة: "الأمريكيون مهتمون فقط بأمور الزُبْدَة والخُبْز، ويعتبرون النظام السياسي مجرد جهاز إداري. إن هذه النزعة لتهميش الوظيفة السياسية المؤسساتية تفسر إعادة انتخاب الأمريكيين لـ " كلينتون" رغم وعيهم بتجاوزاته الأخلاقية، لأن همهم أن يكون رئيسا إداريا جيدا، وليس نموذجا للأخلاق والمثالية".

4- التناقض

هناك تناقض مزمن في الشخصية الأمريكية، ركز عليه الكاتب الفرنسي "ألكسي دو توكفيل" - الذي زار الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر- في نقده للنموذج الأمريكي للديمقراطية.

وكما وصفها "سيرجيو ليون": " فإن أمريكا كانت دائما طيبة، وسيئة، وقبيحة... مثالية، منافقة، وواقعية في الوقت نفسه. فهي خليط عجيب من المتناقضات تحيا معاً في نفس واحدة ومجتمع واحد".

إن السياسة الأمريكية في بعض الأحيان تعكس التناقض في الشخصية الأمريكية أو محاولة الجمع بين المتناقضات في الحياة. وإلا فكيف يمكن تفسير حيازة الأسلحة النووية، ثم العمل على الحد منها في العالم؟! وكيف تكون أمة تؤمن بالتنوع، ثم تسعى إلى فرض قيمها على العالم؟! وكيف تبدو أمة تسعى إلى قيادة العالم، ولكنها تظهر وكأنها غير مكترثة لهذا العالم، وتأمل أن يبتعد هذا العالم الذي تريد أن تقوده عنها؟! وكيف يمكن الجمع بين فخر الأمريكي بمثاليته، وإصراره في الوقت نفسه على نفعيته؟! كل ذلك لا يجتمع إلا في الشخصية الأمريكية التي تتصارع داخلها المتناقضات.

5- معضلة الحرية

الحرية الأمريكية معضلة تاريخية كبرى. فشعار أمريكا هو الحرية، وليس أدل على ذلك من تمثال الحرية في نيويورك الذي يرمز إلى هذه القيمة الكبرى.

لكن الحرية الأمريكية في الحقيقة وهم كبير، حيث أن الشعب الأمريكي قد تمت إعادة تشكيل عقله إلى الدرجة التي جعلته وهو حر غير مقيد، يختار دائما

ما أراد له السادة أن يختار. ومن ثم فهو قد فقد الحرية قبل أن يمارسها أو وهو يمارسها، لأن عقله قد تم تدريبه وصياغته لكي يختار وفق رغبات الأسياد.

وفي مقال كتبه أحد علماء الاجتماع الأمريكيين في القرن التاسع عشر وهو (بيرس) بعنوان " تثبيت الاعتقاد" ونشره في مجلة The Popular Science Monthly في عام 1878م، يصنف فيه منهج السلطة في تكوين الاعتقادات الملائمة لها، وهو من أهم ما كُتب عن دور السلطة في التحكم في معتقدات الأفراد عن طريق الإعلام، والعبث بالرأي العام، ثم ترك الأشخاص يختارون بحرية مزيفة، يقول: "لندع إرادة الدولة تعمل بدلا من إرادة الفرد، ولننشئ مؤسسة هدفها أن تضع نصب أعين الناس مذاهب صحيحة تجعلهم يرددونها ويكررونها دائما وأبدا دون انقطاع، ويلقنونها للصغار، وأن تكون لها القدرة في ذات الوقت على حضر تعليم أي مبادئ معارضة أو التعبير عنها أو الدعوة إليها. ولنعمل على محو كل الأسباب التي يمكن أن تُحدث تغييرا في أذهان الناس، لنبق عليهم جهلاء حتى لا يتعلموا لسببٍ ما التفكير في شيء آخر غير ما اعتادوا عليه، ولنعبئ عواطفهم على نحوٍ يجعلهم ينظرون في كراهية وفزع إلى الآراء الخاصة وغير المألوفة، ولنجعل كل أولئك الذين ينبذون الاعتقاد الرسمي ويلزمون الصمت في هلع، ولندفع بالناس لكي يمزقوا هؤلاء، أو لِنُجرِ تحريات وتحقيقات عن طريق تفكير المشتبه فيهم، وإذا تبين أنهم مذنبون وآمنوا بمعتقدات محظورة فلنُوقِّعْ عليهم عقوبةً ما. وإذا لم نحقق توافقا كاملا في الآراء بهذه الطريقة، فلنبدأ مذبحة لكل من لم يفكر على النحو الذي ثبتت فعاليته لحسم الآراء في البلاد".

إن معضلة الحرية الأمريكية هي أن الأمريكي حر ومقيد في آن واحد: حر في أن يفعل ما يشاء خاصة في أمور الترويح والملذات الشخصية ومتع الحياة،

ولكنه مقيد في الحياة العامة من خلال آلة إعلامية مُسَيَّرة من قبل صناع القرار الحقيقيين الذين يوجهون الإنسان دائما في أمريكا نحو خيارات لا تعبر بالضرورة إلا عن رغباتهم، وذلك من خلال سياسات إعلامية وفكرية دقيقة ومقننة ومنظمة، تم تحسينها وإتقانها عبر عشرات السنين من العمل الإعلامي الدؤوب.

لقد نشر عالم الاتصال الأمريكي (بول بوستمان) في كتاب "الإعلام الأمريكي... تسلية حتى الموت" مقارنة بين رؤيتين لمستقبل الحرية في أمريكا: الأولى: كانت رؤية (جورج أورويل) في كتابه عام 1984م، وفيها يتوقع (أورويل) سيطرة السلطة على حريات الأفراد. أما الرؤية الأخرى: فكانت للكاتب الأمريكي (ألدوس هكسلي) في كتابه "العالَم الجديد الشجاع"، ويرى فيها أن أمريكا ستغرق في التفاهة والسطحية.

يقول (بوستمان) في مقارنته: "إذا لم يكن كابوس (أورويل) قد تحقق في 1984م، فإن نبوة (هكسلي) قد تحققت. نعم، لم يظهر الرقيب الطاغية من السلطة Big Brother الذي يفرض علينا ما يريد، لأننا لم نعد بحاجة إلى من يسلبنا استقلالنا ونضجنا وتاريخنا.

لقد عشق الناس - كما تنبأ (هكسلي)- الكبت، ونجحت التقنية في إلهائهم وإلغاء قدرتهم على التفكير. أورويل كان يخشى ممن يحرموننا من المعلومات، أما (هكسلي) فقد كان يخشى من أن تغرق الحقيقة نفسها في بحر من الهراء والتفاهات. كان أورويل يخشى أن نتحول إلى حضارة أسيرة... أما (هكسلي) فقد كان يخشى أن نتحول إلى حضارة تافهة. في قاموس (أورويل) يكون سلاح السيطرة هو الألم، أما عند (هكسلي) فإن سلاح السيطرة هو اللذة. في كتاب (أورويل) سنكره من يدمرنا، أما عند (هكسلي) فإننا سنحبه".

6- الميل الدائم نحو التوسع

تميزت الشخصية الأمريكية منذ اكتشاف أمريكا بالاتجاه الدائم نحو التوسع، حيث أطلق عليها اسم (الفرونتير) أي الرائد المكتشف. فالرواد المكتشفون تحركوا من الساحل الشرقي لاجتياح غرب البلاد حتى انتهوا من فتح القارة، ثم تحرك أحفادهم نحو الخارج.

والشعب الأمريكي يميل إلى التوسع الدائم في كل شيء وأي شيء، ومن يتعرف على الحياة الأمريكية من الداخل يعرف أن الإنسان الأمريكي يعشق التوسع لذات التوسع، وليس لما قد يجلبه من راحة أو رفاهية.

وحاول السياسيون منذ بداية تاريخ أمريكا ومغامراتها التوسعية ترسيخ مبدأ الحق في التوسع عالميا، من خلال المواقف الرسمية المعلنة للإدارات الأمريكية المتعاقبة.

فالتوسع مزاج نفسي للشخصية الأمريكية وليس استراتيجية سياسية أو طموح شخصي فقط. والتوسع الأمريكي هو ثمرة التزامه بالحرية والفردانية معا. وبدون نمو متواصل لهما فإنه يشعر أن حريته مقيدة. ولذلك فإن وضع حواجز أو قيود أمام التوسع الأمريكي قد يُفَسَّرُ من قبل الشخصية الأمريكية على أنه هجوم على حريتها، ولذلك لا تستطيع التسامح مع ذلك.

ولذلك قام (ستيفن إيه دوجلاس) بتذكير مجلس الشيوخ الأمريكي عام 1858م بهذه الحقيقية قائلا: "إن أمريكا أمة شابة ونامية، تعج مثل خلية النحل، وكما أن النحل في حاجة إلى الخلايا ليتجمع وينتج العَسَل أقول لكم: إن التكاثر والتضاعف والتوسع هو قانون وجود هذه الأمة."

إن أمريكا لم تتوقف عن التوسع المكاني حتى أوقفتها الحدود الطبيعية بين المحيطين، وانتقلت بعدها إلى مشاريع جديدة من التوسع العسكري في أنحاء العالم. ولعل هذا ما يفسر خوض الولايات المتحدة 140 حرباً وتدخلاً عسكرياً خلال 180 عاما، وهو رقم وقياسي في تاريخ الأمم، وهو يفسر ارتفاع نصيب الولايات المتحدة إلى 36 % من إجمالي الإنفاق العسكري في العالم، والذي قُدّر بحوالي 400 مليار دولار في عام 2003م. وهذا الفكر العدواني المتأصل جعل من أهم صفات المرشحين لمنصب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية أن يكونوا قد شاركوا في حروب وانتصروا فيها.

أما على الصعيد التجاري، فقد بدأ التخطيط للتوسع التجاري منذ منتصف القرن التاسع عشر استنادا لمبدأ مونرو (1823م) للغزو والتوسع غربا وجنوبا ومناداته بثالوث الحرية: حرية الملاحة البحرية في الأطلسي، حرية النفاذ إلى الأسواق الأوربية لتصريف منتجاتهم، وحرية التجارة والتمركز في كافة أنحاء العالم الجديد، وهو ما أصبح أحد المبادئ المحركة للسياسة الخارجية الأمريكية منذ ذلك الحين.

وفي الفترة المعاصرة عادت أمريكا لتمارس نوعا جديدا من التوسع التجاري تحت دعاوى العولمة والتجارة الحرة وإلغاء الحواجز الجمركية.

7- الشخصية الأمريكية والاستعمال المفرط للقوة

الشخصية الأمريكية تعشق القوة، بل تَعبُدُها، وتقلل من شأن القيم والمبادئ في الحياة مقابل القوة، ولا يعني ذلك أنها تمثل مجتمعا بلا مبادئ، ولكنها تلي القوة.

الأمريكي الأول استخدم البندقية لحل كل مشكلاته، حتى وإن كانت سببا في جر الولايات عليه. واستمر الأمريكي ينظر إلى البندقية أنها الطريق الأمثل للأمان وحل المشكلات. فهو قد فر من قارة كانت تضطهده وتحتقره، وتذكره دائما بالضعف لسبب أو لآخر. وعندما جاء إلى أمريكا ضعيفا هائما خانقا أصبح الحصول على القوة نهما نفسيا لا يرتوي الإنسان الأمريكي منه أبدا.

ولذلك أصبح امتلاك السلاح واستخدامه كوسيلة لحل المشكلات عادة أمريكية تأصلت حتى أصبح عدد قطع السلاح في الولايات المتحدة يتجاوز عدد السكان، وأصبح العنف نموذجا للحياة في هذه البلاد.

واستمر المسدس يحكم علاقات الأمريكيين مع العالم ومع أنفسهم أيضا، وانتشر العنف ليصبح ظاهرة فريدة في المجتمع الأمريكي. ولذلك ليس بأمر عجيب أن يُجَاهِرَ بتقنين العنف السياسي مخضرم مثل (ثيودور روزفلت) الذي يقول: "إذا لم نحتفظ بصفات البربرية فإن اكتساب الفضائل الحضارية سيكون قليل الجدوى".

8- بين الجغرافيا والتاريخ

حبا الخالق سبحانه وتعالى أمريكا بالكثير من الجغرافيا والقليل من التاريخ، فأمريكا بلد غني في الموارد بلا حدود، وخفيف في أثقال التاريخ وحمولاته. ويرى (محمد حسنين هيكل) في تحليله للشخصية الأمريكية أن ذلك منح الأمريكي اطمئنانا إلى وفرة مادية طائلة، ثم إنه أعفاه من تبعات تاريخية ينوء بها العديد من الأوطان أو البلدان الأخرى.

فأمريكا بلد بلا تاريخ يُذكر، ولكنها ذات واقع وامتداد جغرافي يعوضها عن نقص التاريخ، ولذلك فإن النظرة الأمريكية في العموم تقلل من شأن التاريخ، وتعظم من قيمة الموقع والحدود والجغرافيا.

ليس مُهِمًّا تاريخ الصراع حول أي قضية في نظر الأمريكان،ولكن المهم أن يُترجم هذا الصراع إلى واقع جغرافي أو شيء واقعي آخر. التاريخ ليس إلا ماضيا لا قيمة حقيقية له في حياة المواطن الأمريكي أو في السياسة الأمريكية.

ولذلك عندما أراد الرئيس الأمريكي السابق (بيل كلينتون) حل معضلة القدس، رأى أنه من صالح العرب أن يتركوا القدس لإسرائيل. وإذا ظل العرب والمسلمون على تصميمهم بأن " القدس عربية"، فإنه في مقدورهم تغيير اسم قرية قريبة وراء التل - هي أبوديس- لتسمى القدس. وميزاتها أنها على بعد كيلومترات قليلة من القدس الأصلية أمام التل. ثم يضيف: "إنهم فعلوا كثيرا في أمريكا، فهناك مدن كثيرة في أمريكا اسمها القدس، وهناك مدن اسمها القاهرة والإسكندرية وبيروت"!

الحياة السياسية في أمريكا

الفكر السياسي الأمريكي

فكر الآباء المؤسسين

تعتبر أمريكا دولة حديثة المنشأ، ورسخ لدى مؤسسيها أفكار ومبادئ استمرت حتى الآن ترمي بظلالها في الوجدان والفكر السياسي الأمريكي، ومن هذه المبادئ:

1) مبدأ المصلحة المستنيرة

وهذا المبدأ هو المفتاح والعامل المحرر لنشاط أمريكا على الساحة العالمية؛ وهو يمثل وجهة النظر للسياسة الخارجية الأمريكية من منظور المدى الطويل؟ وعلى وجه التحديد فإن درجة الأفضلية الممنوحة لانتصار استراتيجي طويل المدى هي التي اتخذت مقياسا للمصلحة القومية؛ إذا تشبث قادة دولة بمكاسب قليلة الأهمية وفورية متغاضين عن المصالح الأكثر جوهرية التي يمكن تحقيقها بواسطة التضحية بمكسب مرحلي، فإن معنى ذلك أنهم (ليسوا مستنيرين) بما فيه الكفاية، وأن معرفتهم بالأهداف العظمى للطبقة الحاكمة في السياسة الخارجية ضئيلة، وهم لهذا يخفقون في تطبيق مبدأ (المصلحة المستنيرة).

وحينما تُترجَم مُسَلَّمة (المصلحة الذاتية المستنيرة) في السياسة الخارجية إلى لغة الاستراتيجية؛ فإنها تعني الاحتفاظ بحرية المناورة للولايات المتحدة في أي ظرف من الظروف. يقول "جورج واشنطن" مطورا مفهوم حرية المناورة: "لماذا نترك أرضنا لكي نقف على أرض أجنبية؟ لماذا نعرقل سلامنا ورخاءنا بحبال ومعاداة مصالح أوربا ومنافستها في مصالحها وأمزجتها وأهوائها إذا

جعلنا مصيرنا ملتحما بأي جزء من أوربا؟! إن سياستنا الحقة هي أن نوجه سفينتنا بعيدا عن التحالفات الدائمة مع أي جزء من العالم الأجنبي". ويمضي قائلا: "إنه يجب اعتبار أي تحالف مع دولة أجنبية مؤقتا، أي لا تلتزم به الولايات المتحدة إلا إذا كان هذا التحالف مفيدا لتنمية مصالحها. ولكن بمجرد أن يصير هذا التحالف عبئا على الولايات المتحدة ويزج بها في غمار الصراع مع مصالح الأجنبية، فإن من الواجب تصفيته وإحلال تحالف آخر مكانه إذا كان ذلك ضروريا، حتى ولو كان ذلك مع عدو الأمس إذا دعت الحاجة إليه للدفاع عن مصالح الولايات المتحدة الخاصة".

ج) مبدأ القدَر المرموق

أو المصير الذي سبق به القضاء أو قضاء الله السابق. في هذا المبدأ تتجلى العقيدة الدينية النصرانية في السياسة الأمريكية؛ حيث تُصَوَّرَ النموذج الأمريكي على أنه (رسالة إلهية إلى العالمين).

لقد كان الآباء المؤسسون للولايات المتحدة شديدي التدين، وقد وجدوا بالإضافة إلى تسويغ أفعالهم باعتبارات العقل والضرورة الاقتصادية، إلخ... أن من الواجب التصديق على أن كل ما أنجزته الثورة الأمريكية من جانب سلطة إلهية غير أرضية هي إرادة الخالق، وكل ذلك أدى إلى ولادة مبدأ: (القدر المرموق).

وبما أن الجمهورية الأمريكية -أي النظام الأمريكي وفقا لتعاليم الآباء المؤسسين- أفضل ما تم إيجاده قبل هذه الجمهورية أو النظام، فلابد أن تكون في رأي هؤلاء الآباء نموذجاً ومثالا لسائر الجنس البشري، نموذجا، على جميع الأمم أن تقتدي به.

ويؤكد (مور جنتاو) بناء على ذلك قائلا: "وهنا يمتزج المفهوم التنصيري عن العلاقة بين وضعنا الداخلي وبين سياستنا الخارجية ليشكلا شيئا ثالثا هو الحملات الصليبية. فنحن باعتبارنا (مبشرين) برسالة التجربة الأمريكية كنا نقدم مساعدتنا للآخرين وهم أحرار في قبولها أو رفضها. أما نحن وباعتبارنا فرسانا طيبين فسنفرضها فرضا على بقية العالم بالنار والسيف إذا كان ذلك ضروريا. وستكون الحدود العقلية لهذه الحملة الصليبية هي حدود القوة الأمريكية؛ فإن حدودها الممكنة ستكون حدود الكرة الأرضية. لقد تحول النموذج الأمريكي إلى صيغة فكرية للخلاص الشامل ستلتزم بها الأمم ذات التفكير الصحيح طوعا. أما الأمم الأخرى فيجب أن تخضع لها كرها".

ومن الحقائق الفعلية كما يسلم (مور جنتاو): "إن فكرة الرسالة الأمريكية إلى شعوب العالم الأقل حظا، هي بكل تأكيد أيديولوجية سياسية، أي هي إضفاء طابع عقلاني وتسويقي على السياسات التي تجري ممارستها لأسباب أخرى هي أسباب أنانية في المقام الأول."

ويقول المؤرخ الأمريكي البارز (جوليوس وبَرَات) بمزيد من التخصيص والتوضيح: "إن القدر المرموق أصبح تسويغا لأي استيلاء على أرض إضافية يكون لدى الولايات المتحدة النية والقدرة على أخذها".

3) مبدأ الحرية العادلة

هذا المبدأ نشأ عن مفهوم إشباع حاجات الشعوب الأخرى من خلال جذبها إلى طريقة الحياة الأمريكية بقوة السلاح، فوفقاً لنظرية الرسالة الأمريكية يتم القيام بهذه الأفعال لا لأي غرض آخر سوى تحرير هذه الشعوب، ولذلك فأي حرب - على وجه الإطلاق- تخوضها الولايات المتحدة هي من وجهة النظر الأمريكية حرب تحرير، ولذلك فهي حرب عادلة. يقول البروفسور (روبرث

تكرّم) من جامعة جون هوبكنز: "يمكن اعتبار أي استعمال للعنف وأي وحشية حرب عادلة".

مبدأ مونرو

في عام 1833م في رسالة الرئيس (مونرو) إلى الكونجريس قال: "إنه من الآن فصاعدا، فإن بلاد القارة الأمريكية لا يمكن اعتبارها موضوعا للاستعمار من جانب أي دولة أوربية، ومن حقنا ألا ننظر إلى أي تدخل يستهدف إخضاعها أو التحكم بأي طريقة أخرى في مسيرها من جانب أي دولة أوربية إلا في ضوء أنه انعكاس لنوايا غير ودية تجاه الولايات المتحدة".

كان هذا المبدأ أول بداية حقيقية لعملية تدخل أمريكا في العالم، وإن اقتصر على القارة الأمريكية برمتها أو نصف الكرة الغربي، فإنه طبقا للمبادئ السابقة باعتبارها نتيجة، وأظهر السياسة التي تتبعها الولايات المتحدة عندما تنظر إلى أي جزء من العالم وكأنه منطقة نفوذ لها.

خطاب مسيرة الراية

في 16 شتنبر 1898م ألقي خطاب ممتلئ بالحماسة في مدينة (أنديانا بوليس) دفاعا عن السياسة الجديدة للولايات المتحدة. وقد عُرف هذا الخطاب في التاريخ الأمريكي باسم (مسيرة الراية). وكان معد هذا الخطاب هو (ألبرت بفريدج) الذي كان مرشحا لمجلس الشيوخ في انتخابات ذلك العام، وكان يعتمد على تأييد الدوائر الصناعية والمالية النافذة. وقد أعلن أن مسألة التوسع الاقتصادي أكبر من أن تكون مسألة حزبية، إنها مسألة أمريكية يقول: هل سيواصل الشعب الأمريكي زحفه نحو السيادة التجارية على العالم؟ وهل

مصانعنا، وما يبيعه تجارنا؟ إننا اليوم ننتج أكثر مما نستطيع استعماله، ولذلك يجب أن نجد أسواقا جديدة لمنتجاتنا".

لقد كان مستقبل السياسة الاقتصادية الأمريكية حيويا بالنسبة إلى دائرة رجال الأعمال. وفي الشهر نفسه في ذلك العام ظهر في المجلة الأمريكية الشمالية مقال بقلم (تشارلس كونانت) في مجلة نيويورك للتجارة عنوانه: (الأساس الاقتصادي) جاء فيه: "إن الميل الذي لا يمكن مقاومته إلى التوسع الذي يؤدي بالشجرة النامية إلى أن تفجّر أيّ حاجز هو الميل الذي ساق القوط والوندال والساكسون في موجات متعاقبة لا يمكن مقاومتها للتغلب على أقاليم روما المتدهورة. هذا الميل يبدو الآن فعالا مرة ثانية، لذلك لابد من منافذ جديدة لرأس المال الأمريكي، ولفرص جديدة للمشروع الأمريكي. إن قانون المحافظة على النفس، وكذلك قانون البقاء للأصلح (الأقوى) يدفعان شعبنا في طريق هو بلا جدال تحوّل عن سياسة الماضي، ولكنه طريق لا يحيد عن أن ترسم حدوده شروط الحاضر ومتطلباته".

مبدأ القوة العسكرية هي الفيصل النهائي

أي أن الوسيلة الأساسية والنهائية لتسوية مشكلات السياسة الخارجية المتنازع عليها هي الحرب.

وقد قال (ألكسندر هاملتون) - وهو من الآباء المؤسسين-: "إن الناس طموحون، حقودون، مهابون". وفي معرض تفسيره لأسباب حتمية الحروب في حياة الجنس البشري يقول: "إن التطلع إلى استمرار التوافق بين عدد من الدول المستقلة ذات السيادة والمنفصلة بعضها عن بعض معناه التغاضي عن المسار المطرد للأحداث الإنسانية والعمل على تحدي الخبرة المتراكمة للأجيال".

وبعد أن قام هاملتون بتلخيص تلك الخبرة - ابتداء من أثينا في عصر بركليز إلى إنجلترا وفرنسا في أيامه- أطلق على الذين يعتقدون أن من الممكن تحقيق سلام دائم بين الأمم صفة المثاليين. وهو يعتبر"ما يشبه البديهي في السياسة أن المجاورة أو قرب الموقع هو الذي يشكل الأعداء الطبيعيين للأمم". ويقول أيضا: "إن القوة المسلحة هي التي تستطيع أن تملي شروط العلاقة بين العالم القديم والجديد".

ولكن الأمريكيين يلجأون - أحيانا- إلى عدم استخدام ألفاظ الحرب مباشرة، ويخترعون مصطلحات متنوعة لتشويه جوهر الأشياء وإحاطتها بالتعمية محاولين التنكر في الإعلان عن الهدف الحقيقي؛ فهناك على سبيل المثال مصطلح: "المُجَمَّع السلمي" الذي شاع استعماله في الإشارة إلى القوات المسلحة الأمريكية، فبالإضافة إلى (جورج واشنطن) دافع قادة كثيرون غيره - وبخاصة ألكسندر هاملتون- دفاعا قويا عن فكرة الاحتفاظ "بمجمع سلمي" قادر على التأثير. ويعتبر المؤرخون العسكريون الأمريكيون المعاصرون (هاملتون) فيلسوفا عسكريا من أصحاب النزعة الواقعية ومناصراً ثابتاً العقيدة لموقف التأهب القتالي الهجومي.

هذه المبادئ هي التي تحكمت في فكرة النخبة السياسية الأمريكية ولازالت تتحكم فيها وإن تغيرت الاستراتيجيات وتبدلت الخطط، فالمراقب للسياسة الأمريكية في العالم يلاحظ أثر هذه الأفكار وما تحمله من غرور واستعلاء على الأمم الأخرى، وفي الوقت نفسه القدرة على المناورة، وتحيّن الفرصة المناسبة، والوقوف عند المصلحة البعيدة المدى. ويفسر لنا كثير من المواقف التي تقفها الولايات المتحدة الآن من أجل التدخل في شؤون الأمم الأخرى.